

## الحركات المناهضة للدولة في عهد المأمون

### ب - الحركات غير العلوية

#### اولا - حركة نصر بن شبث

نصر بن شبث زعيم عربي من بني عقيل يسكن كيسوم شمالي حلب متعصب للاميين لأنه يمثل العنصر العربي وناقم على المأمون لميله الى الخراسانيين . خرج في اواخر عام (198هـ/814م) وسيطر على البلاد المجاورة وملك سميساط وشايعة الكثير من العرب وقوي امره حتى هابه الخليفة . والواقع ان حركته لم تكن موجهة ضد الحكم العباسي بل كانت انتفاضة ضد النفوذ الفارسي المسيطر على مقدرات الخلافة .

ولما انتصر طاهر بن الحسين على الامين ندبه المأمون الى الرقة لمحاربتة وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب وانتزع منه العراق . ويبدو ان هذه الاجزاء قد ازعجه فتباطأ في حرب نصر وأعطى هذا الاخير فرصة التغلب على الجيش العباسي وحاصر حران . ورأى فيه العلويين احد رموز المعارضة للحكم العباسي فحاولوا استغلاله وإقناعه بالبيعة لعلوي فرفض ذلك بفعل ولائه للعباسيين .

ادرك المأمون تباطؤ طاهر في حرب نصر فاستدعاه وولاه خراسان وولى ابنه عبد اللخ الولايات الغربية من الرقة ومصر وأمره بمحاربتة . وفعلا تمكن عبد الله هذا من محاصرة نصر وضيق عليه الخناق مما اضطره لطلب الصلح في عام (209 هـ / 824 م) وجيء به الى بغداد في العام التالي بعد ان امنه الخليفة وانتهت بذلك حركته .

#### ثانيا - حركة الزط

قام الزط بانتفاضة عاتية في جنوبي العراق بنواحي البصرة . وهم قوم من اخلاط الناس المعروفين بالنور اصلهم من هنود اسيا استقروا في البطائح بين واسط والبصرة بعد هجرتهم من الشرق . وقوي امرهم في فترة النزاع بين الامين والمأمون وسيطروا على طريق البصرة وقطعوا الاتصالات بين البصرة وبغداد وازدادت سطوتهم في عهد المأمون .

ولما استقر المأمون في بغداد تفرغ لهذه الجماعة المنتفضة على حكمه فأرسل اليهم عدة حملات عسكرية في عام (205 هـ / 820 م) . الا انها لم تتمكن من القضاء عليهم . ويبدو انه كانوا شديدي الحذر يتفرون في الفيافي اذا دامهم الخطر . فكتفوا نشاطهم المعادي للدولة حتى فرضوا المكوس على السفن الداخلة الى بغداد وحالوا دون وصول المؤن الى عاصمة الخلافة . وظل الزط شوكة في

جنب الدولة العباسية الى ايام المعتصم الذي سيقضي على حركتهم وينفيهم الى عين زربة في منطقة الثغور الاسلامية .

### ثالثا - الاضطرابات في مصر

تأثرت الاوضاع السياسية في الولايات الاسلامية بالنزاع الذي حدث بين الامين والمأمون وظهر اثر ذلك جليا في مصر بشكل خاص وظهرت في الافق السياسي اعتبارا من عام (206 هـ/821 م) تباشير حركة استقلالية بزعامة السري بن الحكم نتيجة تحامل العباس بن موسى والي المأمون على مصر . استغل هذا الرجل النزاعات الداخلية بين القيسية واليمنية لضرب الفئات المتنازعة بعضها ببعض حتى تخلو له الساحة السياسية فساد مصر نتيجة لذلك جو من القلق وعدم الاستقرار .

وثارت القبائل العربية في مصر السفلى في عام ( 214 هـ / 829 م) بسبب سياسة الولاة العباسيين التعسفية وقتلوا نائب الوالي .

تتصدى المأمون لهذه الحركة المعادية وندب اخاه المعتصم لمحاربتها ونجح في اخمادها . لكن الاضطرابات تجددت على اثر مغادرته مصر فأرسل الخليفة قائده التركي الافشين في عام (215 هـ / 830 م) ففضى عليها .

ويبدو ان الوضع الداخلي في مصر لم يهدأ تماما فقام الاقباط والعرب في عام (216 هـ / 831 م) بحركة انتفاضية كبرى فأضطر المأمون ان يذهب بنفسه الى مصر لتهدئة الوضع فأخمدها وسبى قسما كبيرا من القبط واصطحب معه زعماء الحركة الى بغداد وعزل عامل الخراج الذي تسبب بالاضطرابات .

### رابعا - حركة بابك الخرمي

هي اخطر حركة دينية المظهر سياسية الهدف عرفتها دولة الخلافة العباسية منذ قيامها وتتميز بسعة انتشارها وتنظيم دعايتها وبراعة قيادتها وبتواصلها بغير الفرس . وشكلت ذروة التآمر الفارسي المسلح ضد السلطة العربية العباسية .

اعتنق بابك مبادئ الخرمية على يد جاويدان ولما توفي هذا الاخير زعمت امرأته ان روح زوجها حلت فيه . وقد تقبل بابك هذه الفكرة وراح يتصرف من خلالها والراجح ان خلف جاويدان في زعامة الخرمية في منطقة الجبال ثم اخذ ينمي حركته وينميتها في محاولة لتقوية قبضته للوصول الى غاياته السياسية والدينية . فالبابكية طائفة من الخرمية تتبع اتباعها بابك وهذا دليل على ان بابك

وأتباعه كانوا ضد سلطة العرب السياسية وضد الدين الاسلامي الذي يعتنقه هؤلاء . من هنا لا يمكننا ان ننظر الى هذه الحركة إلا بأبعادها الدينية والعنصرية .

فمن الناحية الدينية فقد اعتقد البابكيون بمبدأ التناسخ والرجعة وقالوا بالاشتراكية والإباحية منها استباحة النساء على الرضا منهن ورفضوا التكاليف الدينية . وعلى ان تكون الافكار البابكية منافية لمبادئ الدين الاسلامي .

وحاول البابكيون حل مشكلة التفاوت في توزيع الثروة بين الملاكين الكبار والفلاحين . فمازيار الذي اظهر دين المحمرة بجرجان والذي كان على صلة قوية ببابك امر الفلاحين بالوثوب على ارباب الضياع وانتهاب اموالهم .

ومن الناحية العنصرية فإن حركة بابك هي تعبير عن تنفيس الكراهية التي كانت تمتلئ بها نفوس اقوام من الفرس ضد الدين الاسلامي الذي دفع العرب للقضاء على الامبراطورية الفارسية وضد العرب الذين ازالوا دولتهم . وربط بابك نفسه بأبي مسلم الخراساني فادعى انه من نسل ابنته فاطمة مما يدل على النزعة الفارسية القديمة .

اتسم بابك بالبراعة السياسية حين انتهز الظروف الصعبة التي كانت تمر بها دولة الخلافة العباسية نتيجة للنزاع بين الامين والمأمون فأعلن حركته المعادية في عام (201 هـ / 816 م) في الاقاليم الشمالية وهي مناطق بعيدة عن سيطرة الدولة . وكانت جبال اذربيجان وأران مهد هذه الحركة ومركزها البذ .

وقد سلك بابك سياسة حكيمة في استقطاب الاتباع ونجح في ضم كافة اجزاء اذربيجان وصادفت دعوته نجاحا ملفتا في منطقة الجبال وهمذان واصفهان وماسبذان ومهرجان كما دخل في دعوته جماعة من اكراد الجبل وقسم كبير من الدليم وانتشرت في طبرستان وجرجان وارمينيا وخراسان وسائر ارض الاعاجم .

واستقطبت الحركة بعض الدهاقين والأمرء الفرس مع السواد . فاشتركوا جميعا في الثورة المسلحة ضد العباسيين وسعى بابك لاستمالة الأرمن وتعاون مع البيزنطيين .

واستمر بابك في نجاح مطرد بفعل غياب القوة العسكرية المنهكة بالنزاعات الداخلية وبإخماد الحركات المعادية في مصر وبلاد الشام والعراق وبالخرب مع البيزنطيين فكانت هذه الاوضاع عاملا مساعدا في نجاحها العسكري . وكان اضطراب الوضع الداخلي في اذربيجان انذاك عاملا اخر ساعد على الاسراع في اعلان الثورة . فقد خرج حاتم بن هرثمة بأذربيجان عندما سمع بوفاة والده هرثمة بن اعين وكاتب بابك وهون عليه امر المسلمين .

واتبع بابك سياسة عسكرية قائمة على هدم الحصون وتخريبها حتى يضعف دفاعات العباسيين كما ركز جهوده على قطع خطوط تموينهم ونهب قوافلهم حتى يشن هجماتهم . واشتهر اتباعه الجليون

بمعرفة الطرق والمسالك الجبلية ونصب الكمائن فكانوا يحصرون الجند العباسي في الممرات والمضائق الجبلية وينقضون عليهم وهذا يوضح فشل الحملات العديدة التي وجهها المأمون لحربهم. ونتيجة لانتصاراته المتلاحقة اضحى بابك يشكل قوة خطيرة ضد الدولة العباسية . وتوفي المأمون في عام (218 هـ / 833 م) وبابك في اوج قوته ومما يدل على خطورة حركته ان المأمون اوصى اخاه المعتصم قبل وفاته بضرورة التصدي لهذه الطائفة بكل ما اوتي من قوة .

## العلم في عهد المأمون

اقترن اسم المأمون بتلك النهضة العلمية التي ازدهرت في العصر العباسي الاول بوجه عام وفي عهده بوجه خاص . ويعتبر عهد هذا الخليفة من ارقى العهود العلمية في العصر العباسي الاول حيث وصلت الجهود الثقافية الى الذروة وذلك بفعل عدة اسباب لعل ابرزها :

- 1- ان المأمون اولع منذ صغره بالقراءة فدرس العلم والفقه والتاريخ والحديث والتفسير واللغة وكان محبا للعلم شغوفا بالازدياد منه واباح المناقشات الفكرية وشارك فيها بنفسه وسخر كل الامكانيات وسلك كافة السبل ليعثر على الكنوز الفكرية في مكتبات القسطنطينية وقبرص .
- 2- شهد عصر المأمون نهضة علمية بفعل انكباب الناس على البحث العلمي والاقبال على المعارف القديمة وازدياد عدد العلماء في الامصار .
- 3- لقد ساعد نمو العلاقات بين الدول انذاك والجهود التي بذلها العباسيون في احلال السلام بالاضافة الى المبادلات التجارية على ازدهار حركة التعريب التي وصلت الى الذروة مما ولد مناخا مناسبيا للانكباب على العلم .
- 4- عمدت الدولة العباسية منذ عهد المنصور الى عقد الصفقات التجارية الخاصة بشراء الكتب والحصول عليها وقد تدفع في سبيل ذلك اغلى الاثمان . وازدادت هذه الظاهرة في عهد المأمون فكان على اتصال دائم بالامبراطور البيزنطي ليو الارمني وجرى ارسال البعثات الى بلاد البيزنطيين لاختيار الكتب العلمية القديمة المخزونة والمدخرة فيها .
- 5- لم تعد حركة التعريب حركة فردية انما اصبحت رسمية تعنى بها الدولة وتشجعها وتساعدتها وتتفق عليها الاموال .

والواقع انه قدر للمأمون ان يخدم الثقافة الاسلامية من خلال حياته السياسية عن طريق اهتمامه الشخصي بجمع تراث الامم القديمة خاصة التراث اليوناني الذي شغف به . فأرسل بعثات علمية للبحث عن الكتب اليونانية ونقلها الى بيت الحكمة الذي انشأه في عام (215 هـ / 830 م) . ويعتبر

هذا البيت بمثابة معهد علمي يضم مكتبة لنسخ الكتب الاجنبية ودارا لتعريبها ودرسها ويحتوي على مرصد فلكي . واقام المأمون طائفة من المعربين واجرى عليهم الارزاق من بيت المال . فحوى هذا البيت تراث الثقافة الاسلامية الى جانب تراث الثقافة الاجنبية .

تأثر الفكر الاسلامي في عهد المأمون بثلاثة موارد . فقد تأثر بالثقافة الاغريقية والهيلينية شكلا وموضوعا . فمن ناحية الشكل فان المنطق اليوناني اعطى الفكر الاسلامي صيغا في طرق الجدل والبحث والتعبير والتدليل . فتأثرت اساليب المتكلمين بهذه الصيغ خاصة منطق ارسطو . اما من ناحية الموضوع فكان تأثيره كبيرا في تعاليم المتكلمين واثرت الافلاطونية الحديثة في التصوف .

وتأثر الفكر الاسلامي بالثقافة الهندي عن طريق الفتح والتجارة . وانتقل من خلال انتقال الهنود الى مختلف الامصار الاسلامية حاملين معهم الافكار الهندية عن طريق الفرس . وامتد التأثير الهندي الى الالهيات والمقالات الادبية في الرياضيات والفلك . ويبدو ان الاثر العميق الذي تركته ثقافة الهند في الرياضيات والفلك . فقد لخص محمد الخوارزمي للخليفة المأمون تعريب ابراهيم الفزاري لكتاب الفلك الهندي . ( السر هنتا ) وربما كان هذا الكتاب الوسيلة التي وصلت بها الارقام العربية والصف من بلاد الهند الى بلاد الاسلام .

ففي عام ( 198 هـ / 814 م ) استخدم الخوارزمي الارقام الهندية في جداوله الرياضية ثم نشر في عام ( 210 هـ / 825 م ) رسالة تعرف بـ ( الخوارزمي عن ارقام الهنود ) .

كما تركت الثقافة الفارسية اثرا في اللغة العربية والادب العربي بشكل خاص . فقد تسربت الفاظ فارسية كثيرة الى هذه اللغة كما عربت كتب فارسية في التنجيم والهندسة والجغرافيا والادب والتاريخ .

وعكف المعربون في عصر المأمون على تعريب امهات الكتب من اللغات السنسكريتية والفهلوية واليونانية والسريانية . وبرز منهم في بيت الحكمة حنين بن اسحاق . وقد عرب كثير من اثار جالينوس وارسطو وافلاطون وابقراط وبطليموس وقد كافاه المأمون على عمله بمثل وزن الكتب التي عربها ذهبيا . وأتم ابنه اسحاق اعمال التعريب فعرب بعض اعمال ارسطو وجميع اثار جالينوس الفلسفية والطبية واشترك مع عدد من العلماء في وضع موسوعة جغرافية للخليفة .

واستخدم المأمون جماعة من الفلكيين ليرصدوا الاجرام السماوية ويسجلوا نتيجة هذه الارصاد وليحققوا كشوف بطليموس ويدرسوا كسوف الشمس . فنقل بهذه الطريقة الى العالم الاسلامي كل التراث العلمي الضخم الذي خلفه علماء اليونان .

## العلاقات الخارجية في عهد المأمون

### العلاقة مع البيزنطيين

كادت الحرب ان تضع اوزارها بين المسلمين والبيزنطيين في عهد المأمون . فقد انهمك هذا الخليفة في فض النزاع الذي قام بينه وبين اخيه الامين مما اتاح لبيزنطية المنهمكة فرصة لالتقاط انفاسها .

لذلك شهدت الجبهة الاسلامية - البيزنطية ركودا يكاد يكون تاما باستثناء حالات قليلة . استمر هذا الوضع شبه المستقر حتى عام (205 هـ / 820 م) حين تجدد النشاط العسكري نسبيا في عهد الامبراطور ميخائيل الثاني . وقد استغل كل من المأمون وميخائيل هذا ، الفتن والثورات التي قامت في وجه كل منهما لدعم موقفه . فعقد الاول اتفاقا مع توماس الصقلي الذي قاد ثورة مسلحة ضد النظام البيزنطي في حين اجرى الثاني مفاوضات مع الخرمية الذين ثاروا في وجه المأمون .

والواقع ان الحملات الاسلامية النشطة على الاراضي البيزنطية ابتدأت في عام (215 هـ / 830 م) وجاءت ردا على الغارة التي نفذها الامبراطور ثيوفيل ضد زبطرة بمساندة قوات من الخرمية . وقاد المأمون وابنه العباس عدة حملات عسكرية وتمكنا من فتح عدة حصون في منطقة كبادوكيا واستردا هرقله ولؤلؤة .

### وفاة المأمون

عهد المأمون قبل وفاته الى اخيه المعتصم بعد ان عزل اخاه القاسم وتجاوز ابنه العباس . وتوفي في البندنون وهو يغزو بلاد البيزنطيين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من (شهر رجب عام 218 هـ / شهر آب عام 833 م) وحمل طرسوس ودفن فيها . واضطر المسلمون الى اخلاء موقعهم فيما وراء جبال طوروس .